

السلوك السياسي

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلاً لصورة من جانب
من جوانب التفكير في المجتمع الحديث)
الكاتب

أ - ما هذا الحذاء ؟

ب - ماذا ... ألا يمجيك ؟ إنه من الصنف العالي ،
دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...
لا . لا أقصد ذلك

ماذا قصد ؟

أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذي الرقبة ؟

ولم لا !

إنها « مودة » قديمة

ولماذا إذن يرضونها الآن للبيع ؟

ليشترها أهل « المودة » القديمة ... ثم ...

ثم ماذا ؟

ثم ليشترها أولئك الذين يلبسون الجوارب التي من

الصنف الرخيص ...

وما دخل هذا في ذلك ؟

كيف ! ألا تدري ؟ أقول حقاً ؟

نعم . لا أدري . لأنني ألبس أجود أنواع الجوارب

ولكن ألا تدري أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب

عن الأنظار ...

وماذا في ذلك !

لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة براها

كل من يجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

أو ترك الحذاء بالرة ...

لا تهزأ ... فهذه ملاحظة في محلها ...

حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خطورتها فأرجو

أن تدلني على طريقة لإظهار جميع ملابس الداخلية ، فإنها

في الواقع من أجود الأصناف ...

أ - هذا له طرفه الخاص ، ويلوح لي أنك تقتنيها من أجود
الأصناف لهذا الطرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار
تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد
العارفين ...

ب - إن هذه الملاحظات جديدة في نظري ، برغم أنني نشأت
على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم مني في ذلك لأن
سلوككم يقضي عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون
الآخرون كما ظهر لي الآن ...

أ - هذا حقيقي ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال
السلوك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ،
وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين في اللبس ...

أشكرك . ولكن رجال السلوك بدون شك هم النموذج
الذي يحتذى في كل المناسبات وكل البلاد

أ - بهذه المناسبة أعترف ما هي أحسن طريقة لإظهار
القميص الأفرونيكي إذا كان من أجود الأصناف ؟
لا ...

هي أن تلعب البلياردو ...

البلياردو ... ! وما هي الصلة بين القميص والبلياردو ... ؟

... تدخل صالة اللعب ، وهي عادة كبيرة وفيها ناس

كثيرون ، وتأخذ في الاستعداد للعب مع زملائك ، وتظهر

بعدم تملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة

فيظهر القميص فيراه الجميع ...

عظيم . والجهل باللعب ! !

أمر ثانوي . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة .

وكذلك « العشومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطي بالألحذ

الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلقت جوخ الخوان ، وهو كما

تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون في سبيل إظهار القميص ...

أما زح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من

سلوككم ! !

أ - حاشا لي أن أقول غير ما أقصد

أو أقصد غير ما أقول ...

وما الفرق ؟

ب - فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بالألا . كمثل . كمثل ...

أ - نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعاني وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذي أريد أن أقرره من كل الذي جرتنا إليه الحديث الآن هو أن الظهريّة ، نعم الظهريّة ، مسألة هامة جداً

ب - هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل الظهريّة على الحقيقة ؟

- إسمع يا صديقي . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهي موجودة . ولكن الظهريّة لا بد لها من يخدمها وبمعمل لها وفي سبيلها ، وإلا ضمت يا أستاذ بين الحقيقة والناس ...

- ولكن ألا ترى أنه خير للماقل أن يفتى في سبيل الحقيقة من أنه يمشى في رداء الظهريّة !

- إسمع كلامي واعمل بفلسفتي ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذي كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة في خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهي ظاهرة ظاهرة ...

- وأما الظهريّة فهي لا شك في حاجة إلى من يعمّل لها أمثالك ... أليس كذلك ؟

- هو كذلك لا شك ... ولكن خبرني . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود ! قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهي ليست في حاجة إلى أمثالك

- أو أن أمثالك ليسوا في حاجة إليها ! هذا وهذا ...

- وخبرني كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأي ؟

- الدنيا كلها ...

- أقصد في سلوككم الخاص ...

- الجميع يا أخي . هذا أمر مفروغ منه

- ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة الظهريّة بعد أن يلتحق

بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟ - هذا سؤال طيب . نعم الأوفى أن يكون الشخص عالماً بفلسفة الظهريّة مستعداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التسرف وحسن السبك ...

- أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لي ... - أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

- لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر في شأن وشأن أمثال وشأن هذه الأفكار ...

أ - وإلى أن تفكر وتهتدي إلى حل أنظر إلى خدائي وخبرني عن نوع جلده

- هو جلد ثعبان

- براقوا ! وجلد هذه الحقيّة ؟

- جلد ثعبان كذلك

- براقوا !

- ولكن لا أدري إن كان جلد الحقيّة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

- هذا لا يهم

- ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

- أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل في هذا شك يا صديقي ؟

- ولكن اسمح لي ...

- ماذا ؟

- ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجملني صالحاً للسلك . وعلى الأقل في نظرك أنت

- قل . قل . ما هي ؟

- هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما

مما ومهما غيرهما ... أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ،

في حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخي !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع، فإن الموانع كثيرة .
هذا إن أردت الحقيقة . ولكن لا . لا . لا تؤاخذني فإن الحقيقة
في خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذي تشتري به جلد
ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة
الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس؟ وليس للاعتبارات الأخرى
أى تقدير؟

— أى اعتبارات أخرى! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين
جداً وهو « مودة » حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا
— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاج السياسى ... ولنترك مسألة الجلد
وخبزنى عن نوع الجورب الذى تلبسه

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل
والقميص

— شئ جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا
تكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إننى أميل إلى هذا الشكل من الملابس
— ولكن هذا يتطلب نمياً وتفكيراً ومجهوداً ووقتاً

وقوداً . فهل عمك يسمح بذلك !

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين فى سبيل ...
الظاهرة ...

— برفوا! وهذه هى الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولكن قل لى، لماذا أنت تلبس كل هذا
اللبس المالى الفخم مع أنك على سفر؟

كان هذا الحديث فى القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان
أن الصديقين التقيا فى محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية
نادرة إذ يلتقيان على هذه الحال بعد غياب أحدهما فى الخارج

غياباً طويلاً . لذلك أسرعاً فآخذنا مكانهما فى القطار معاً ، ثم
كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على
صديقه (أ) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار ، فسأله الخبير فكان
« يتظاهر » أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام
يمشى فى دهليز العربى يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص
بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث؟
أ — عن صديق كان معى بالباخرة وسمعتة يقول إنه سيسافر
فى هذا القطار

ب — وهل وجدته؟
— للأسف لا ...

— ربما تخلف
— ولكن كان يهمنى جداً أن يكون موجوداً فى هذا

القطار
— هل لى أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . أسأل ...
— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسداً لو كان معنا ...
— وإذا لم يكن معنا فهل فى هذا ضرر عليك؟

— لا . ولكن كنت أود أن يكون معنا
— هل أعرفه؟

— لا ...

ثم جملاً ينتقلان من حديث إلى حديث إلى أن بلغ
القطار محطة الإسماعيلية . ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق

(أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هى ... ها هى ... يا للخسارة !..

— ما بالك يا أخى؟ من هى؟ وما هذه الحركات؟ اجلس

اجلس
أ — يا للخسارة! ولكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد

سنحت الفرصة

— ما هى الحكاية؟ خير! خير! إن شاء الله

— الحكاية طويلة . وهناك فى الإسماعيلية إن شاء الله
ستكون نقطة التحول فى الموقعة ...